٦٧٦

بها الكافر سبعين خريفا ثم يهوى فيها سبعين خريفا فهو كذلك ابدا اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وروى
البغوى باسناد الثعلبى عن ابى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله سارهقه صعودا قال هو جبل من نار
يكلف ان يصعده اما امه ويضرب من خلفه فاذا وضع يده ذابت فاذا رفعها عادت قال الكلبى الصعود صخرة ملسا
فى النار يكلف الكافر ان يصعدها يجذب من امامه ويضرب من خلفه فذلك دابه ابدا قوله عز وجل انه فكر وقدر اى
تفكر فى الامر الذى يريده ونظر فيه وتدبره ورتب فى قلبه كلاما وهياه لذلك الامر وهو المراد بقوله وقدر اى وقدر
ذلك الكلام فى قلبه وذلك ان الله تعالى لما انزل على نبيه صلى الله عليه وسلم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم
الى قوله المصير قام النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد يصلى والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبى
صلى الله عليه وسلم لاستماعه اعاد قراءة الاية فانطلق الوليد حتى اتى مجلس قومه من بنى مخزوم فقال والله لقد
سمعت محمدا انفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن وان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر
وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى ثم انصرف الى منزله فقالت قريش صبا والله الوليد وليصبون قريش كلهم
فقال ابو جهل انا اكفيكموه فانطلق حتى جلس الى جنب الوليد حزينا فقال له الوليد ما لى اراك حزينا يا ابن اخى
فقال وما يمنعنى ان لا احزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينوك على كبر سنك ويزعمون انك زينت كلام
محمد وانك تدخل على ابن ابى كبشة وابن ابى قحافة لتنال من فضل طعامهم فغضب الوليد وقال الم تعلم قريش
انى من اكثرهم مالا وولدا وهل شبع محمد واصحابه من الطعام حتى يكون لهم فضل طعام ثم قام مع ابى جهل حتى اتى
مجلس قومه فقال لهم تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه يخنق قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كذاب فهل جربتم
عليه شيا من الكذب قالوا لا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الامين قبل النبوة لصدقه فقالت قريش
للوليد فما هو فتفكر فى نفسه ثم قال ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه فهو
ساحر وما يقوله سحر يوثر فذلك قوله عز وجل انه فكر اى فى امر محمد والقران وقدر فى نفسه ماذا يمكنه ان يقول
فى محمد والقران فقتل كيف قدر اى عذب وقيل لعن كيف قدر وهو على طريق التعجب والانكار والتوبيخ ثم قتل
كيف قدر كرره للتاكيد وقيل معناه لعن على اى حال قدر من الكلام ثم نظر اى فى طلب ما يدفع به القران ويرده
ثم عبس وبسر اى كلح وكره وجهه كالمهتم المتفكر فى شئ يريده ثم ادبر اى عن الايمان واستكبر اى تكبر حين دعى اليه فقال
ان هذا اى الذى يقوله محمد ويقروه الا سحر يوثر يروى ويحكى عن السحرة ان هذا الا قول البشر يعنى يسارا وجبرا فهو يوثره
عنهما قال الله تعالى ساصليه اى ساد خله سقر وهو اسم من اسماء جهنم وقيل الدرك الخامس منها وما ادراك ما سقر وما اعلمك
اى شئ هى سقر واعاده كرره على سبيل التهويل والتعظيم لامرها لا تبقى ولا تذر قيل هما بمعنى كما تقول صد عنى واعرض
عنى وقيل لا بد من الفرق والا لزم التكرار فقيل معناه لا يبقى احد من المستحقين للعذاب الا اخذته ثم لا تذر
من لحومهم ولكن شيا الا اكلته واهلكته وقيل لا يموت فيها ولا يحيى اى لا يبقى من فيها حيا ولا تذر من فيها ميتا كلما
احترقوا جددوا واعيدوا وقيل لا تبقى لهم لحما ولا تذر منهم عظما وقيل لكل شئ ملال وفترة الا جهنم ليس لها ملال
ولا فترة فهى لا تبقى عليهم ولا تذرهم لواحة للبشر جمع بشرة اى مغيرة الجلد حتى تجعله اسود قال مجاهد تلفح الجلد حتى تدعه
اشد سوادا من الليل وقال ابن عباس محرقة للجلد وقيل تلوح لهم جهنم حتى يروها عيانا عليها تسعة عشر اى على النار
تسعة عشر من الملائكة وهم خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر جاء فى الاثر ان اعينهم كالبرق الخاطف وانيابهم كالصياصى
يخرج لهب النار من افواههم ما بين منكبى احدهم مسيرة سنة قد نزعت منهم الرحمة يدفع احدهم سبعين الفا فيرميهم
حيث اراد من جهنم وقال عمرو بن دينار ان احدهم يدفع بالدفعة الواحدة اكثر من ربيعة ومضر وقال ابن عباس لما نزلت
هذه الاية قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمع ابن ابى كبشة يخبر ان خزنة النار تسعة عشر وانتم الدهم يعنى

الشيطان

كاهن فهل رايتموه قط تكهن قالوا
اللهم لا قال تزعمون انه شاعر
فهل رايتموه ينطق بشعر
قط قالوا اللهم لا قال
تزعمون انه م

الشجعان افيعجز كل عشرة منكم ان يبطش بواحد منهم يعنى خزنة جهنم فقال ابو الاسود بن الاسود كلدة بن خلف الجمحى
انا اكفيكم منهم سبعة عشر عشرة على ظهرى وسبعة على بطنى واكفونى انتم اثنان ويروى عنه انه قال انا امشى
بين يديكم على الصراط فادفع عشرة بمنكبى الايمن وتسعة بمنكبى الايسر فى النار ونمضى فندخل الجنة فانزل الله تعالى
وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة يعنى لا رجالا ادميين فمن ذا يغلب الملائكة وانما جعلهم ملائكة ليكونوا من جنس
المعذبين واشد منهم لان الجنسية مظنة الرافة والرحمة وما جعلنا عدتهم اى عددهم فى القلة الا فتنة
للذين كفروا اى ضلالة لهم حين قالوا ما قالوا وقيل فتنتهم هو قولهم لم لا يكونوا عشرين وما الحكمة فى تخصيص هذا
العدد وقيل فتنتهم قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على تعذيب جميع من فى النار واجيب عن قولهم
لم لم يكونوا عشرين بان افعال الله تعالى لا تعلل ولا يقال فيها لم وتخصيص الزبانية بهذا العدد لامر اقتضته
الحكمة وقيل وجه الحكمة فى كونهم تسعة عشر ان العدد يجمع اكثر القليل واقل الكثير ووجه ذلك ان اقل الاعداد
واكثرها تسعة واقل الكثير عشرة فوقع الاقتصار على عدد يجمع اقل الكثير واكثر القليل لاكثر الحكمة وما سوى ذلك
من الاعداد فكثير لا يدخل تحت الحصر واجيب عن قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على تعذيب جميع اهل النار وذلك
بان الله جل جلاله لو يعطى هذا القليل من القوة والقدرة ما يقدرون على ذلك فمن اعترف بكمال قدرة الله وانه على كل
شئ قدير وان احوال القيامة على خلاف احوال الدنيا زال عن قلبه هذا الاستبعاد بالكلية ليستيقن الذين اوتوا الكتاب
يعنى ان هذا العدد مكتوب فى التوراة والانجيل وانهم تسعة عشر ويزداد الذين امنوا ايمانا يعنى من امن من اهل
الكتاب يزدادون تصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان العدد كان موجودا فى كتابهم واخبر به النبى صلى
الله عليه وسلم على وفق ما عندهم من غير سابقة دراسة وتعلم علم انما حصل له ذلك الا بالوحى السماوى فازداد
بذلك ايمانا وتصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولا يرتاب اى ولا يشك الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون يعنى
فى عددهم وانما قال ولا يرتاب وان كان الاستيقان يدل على نفى الارتياب ليجمع لهم بين اثبات اليقين ونفى
الشك وذلك ابلغ واكد لان فيه تعريضا بحال غيرهم كانه قال وليخالف حالهم حال الشاكين المرتابين من اهل الكفر
والنفاق وليقول الذين فى قلوبهم مرض اى شك ونفاق والكافرون اى مشركو مكة فان قلت
لم يكن بمكة نفاق فكيف قال وليقول الذين فى قلوبهم وهم المنافقون وهذه السورة مكية قلت
لانه كان فى علم الله تعالى ان النفاق سيحدث فاخبر عما سيكون وهو كسائر الاخبار بالغيوب فعلى هذا
تصير الاية معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم لانه اخبار عن غيب سيقع وقد وقع على وفق الخبر وقيل يحتمل
ان يراد بالذين فى قلوبهم مرض اهل مكة لان فيهم من هو شاك وفيهم من هو قاطع بالكذب ماذا اراد الله بهذا
مثلا يعنى اى شئ اراد الله بهذا المثل العجيب وانما سموه مثلا لانه استعارة من المثل المضروب لانه مما غرب من
الكلام وبدع استغرابا منهم بهذا العدد واستبعادا له والمعنى اى غرض قصد فى جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين
ومرادهم انكار هذا من اصله وانه ليس من عند الله فلهذا سموه مثلا كذلك اى كما اضل من انكر عدد الخزنة وهدى من
صدق به كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء لان الله تعالى اليه الهداية والاضلال وما يعلم جنود
ربك الا هو هذا جواب لابى جهل حين قال اما لمحمد اعوان الا تسعة عشر والمعنى ان الخزنة تسعة عشر ولهم اعوان
وجنود من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى خلقوا لتعذيب اهل النار وقيل كما ان مقدورات الله تعالى
غير متناهية فكذلك جنوده غير متناهية وما هى يعنى النار الا ذكرى للبشر اى الا تذكرة وموعظة
للناس يتعظون بها كلا اى لا يتعظون ولا يتذكرون وقيل معناه ليس الامر كما يقول من زعم انه يكفى اصحابه
خزنة النار وقيل كلا هنا بمعنى حقا والقمر والليل اذ ادبر اى ولى ذاهبا وقيل دبر بمعنى اقبل تقول العرب

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1